كلمة البحث

هيمت محمد علي.. حين تزهر شجرة العلامات

فريد الزاهي

29 مارس 2016

زهور لـ هيمت(العربي الجديد)

الخط

التقيته أول مرة في بدايات العقد الماضي في معتقل الخيام، بجنوب لبنان. كانوا فنانين كثيرين من أغلب البلدان العربية يحتفون بتحرير جنوب لبنان، ومعه بجهةٍ سياسية كانت تزعم لنفسها الفضل في ذلك؛ وكان هو من القلائل الذين جاؤوا يحتفون بالإبداع والأرض والأفق الرحب للكينونة. اختار هيمت محمد علي، الفنان الكردي الصموت، بابتسامته الحزينة التي لا تفارق شفتيه، أن يرتكن بنفسه في إحدى زنازين المعتقل الضيقة، على الربوة

الأكثر مشاهدة

1 لبنان: فرنجية يسمّي زياد مكاري وزيراً للإعلام.. من هو؟

2 #انقذوا_سلطان حملة لإنقاذ صلاح سلطان والمرضى في سجون السيسي

3 مصنع "تسلا" للسيارات الكهربائية في ألمانيا يتجه لبدء الإنتاج

4 دونتشيتش يُسقط ووريورز ونتس يخسر رغم عودة دورانت

5 حلف شمال الأطلسي يرفض طلب أوكرانيا: لا حظر طيران ولا قوات للقتال

المطلة على الحدود ونهر الوزاني، محاطا بأطياف المعتقلين الذين مروا من هناك، وبخربشاتهم وكتاباتهم على الجدران الكالحة... هناك رسم لوحته الكبرى بألوان مالت إلى القتامة والحمرة وبتشجيرات كادت تخرج من اللوحة لتعانق رحابة الجنوب...

يدين هيمت لشاكر حسن بحب واحترام يتجاوزان كل الحدود. فلقد وجد فيه ضالته "السلالية" والتاريخية والفنية وجعل منه رمزا شخصيا وفنيا عاما. بيد أن المفارقة التي يفصح عنها هذا العشق والتتلمُذ هو أن هيمت هو أكثر الفنانين الشباب من مريدي الشيخ شاكر حسن ابتعادا عن طرائقه في تصور العمل الفني وممارسته. هذه المفارقة هامة جدا لأنها تفسر تقريبا كل شيء في مسير الفنان. فإذا نحن ألقينا نظرة على بعض تلامذة شاكر حسن فسنرى تعلّقهم بمفهوم المساحة ثم في ما بعد بتصور اللوحة كموطن لتفاعلات هجينة.

قبل سنوات نظّم هيمت معرضا لأستاذه شاكر حسن ودعاني للكتابة للمعرض. وقمت طبعا ببحث متعمّق جعلني أدرك أفضل هذه العلاقة البرانية التي تقوم بين فنانين لهما تصوران متمايزان. فالأول منهما متصوّف ويعشق التجريب ويحتفي باللامرئي والمحجوب، فيما الثاني يحب العلامات غير الدالة بذاتها، ويعشق التشخيص الشذري ويتّصف بحسيّة أرضية لا مكان كبيرا فيها للهموم الميتافيزيقية بالرغم من احتفائها على طريقتها باللامرئي ومعطياته الأثيرية.

يحوّل هيمت الطبيعة والأشجار والمناظر الخارجية إلى علامات، تتشذّر أو تتخذ طابعا تنقيطيا كما لو كان يقتلعها من عيانيتها ليضفي عليها طابعا زخْرفيا. يبنيها ثم يفككها وفْقا لحركية تمزج بين المساحات اللونية والمفردات الرمزية. إننا نعني هنا بالزخرفي لا الجانب التحسيني البلاغي والبديعي الذي يأتي ليجمّل اللوحة. فهيمت ليس من الفنانين الذي يبحثون عن التناسق من خلال عمليات تجميلية تُضفى على ما يقوم بتشكيله. بل الأحرى بنا أن نقول إن التناسق لديه مبدأ قبلي سابق على الإنجاز، ينبع من اللحظة التي تنبثق فيها البنية اللونية والشكلية كي تمنحنا "منظرا" طبيعيا يرى بالحس لا بالعين. هكذا تغدو كل المعطيات البصرية لديه متشابكة ومتعالقة كما لو أنها تبني بشكل صبور ومتأنٍّ صرح المعنى.

في سلسلة لوحاته التي سماها "منظر طبيعي"، يغدو اللون وانتقالاته المحرك الأساس للعبة التأويلية التي يمارسها. وهكذا فالمرور من لون منظري "طبيعي" لآخر يمنحنا هذا الإيقاع الموسيقي الذي يجعل التنويعات تشكل سلسلة موضوعاتية، وفي الآن نفسه تكون كل لوحة مساءلة لأثير

6 مولودية الجزائر يلجأ إلى "فيفا" بسبب لاعبه الجديد.. إليكم القصة

المزيد في ثقافة

"ملتقى الشعر الملحون": استعادة العربي النجّار

"أوركسترا قطر الفهارمونية": دوفرجاك في العالم الجديد

حنّا أبو حنّا.. ذاكرةٌ للتعليم ونهضته في فلسطين

معنى من المعاني التي تستكنهها التجربة بكاملها. من ثمّ فإن العناصر "الزخرفية" تغدو بشكل ما بناءً للمعنى، والمناظر الطبيعية تغدو مجازا لمرئي يتم تأويله كي يغدو ضربا من الزخرفة الوجودية. والحقيقة أني وأنا أنظر لتلك الأعمال، التي رأيت بعضها في مرسمه الصغير بشمال باريس، نكاد نخالها بساطا وسجّادا بصريا تتحول فيه الأشكال الهندسية الطفولية إلى لغة مهموسة، كما إلى

> " في سلسلة لوحاته التي سماها "منظر طبيعي"، يغدو اللون وانتقالاته المحرك الأساس للعبة التأويلية التي يمارسها"

أسئلة متناسلة عن الوجود والترحال والهوية الضائعة في ثنايا الحدود، وعن الغيرية والصمت والشعر واللغة والمعنى...

فمقدار ما يختلف عمل هيمت عن تراث أستاذه شاكر حسن، مقدار ما ثمة حوار تآلفي وتنافري بين أعماله في طابعها المتشابك وبين طبيعة مبدعها... أعني بذلك أن تجربة الفنان، في الهجرة والترحال، وبحثه المستمر عن هويته الشخصية والفنية، واستماتته في البحث عن موقع مميّز له في خارطة أبناء جيله، وجروحه الرمزية المتنوعة، كل هذا جعل طويته تغتني بالتناقضات والمفارقات كما بالزخم الإبداعي وغنى المتخيّل...

عاش الفنان مدنا كثيرة وهجرها، باليابان والعالم العربي وغيرهما. ولم تمنحه باريس ما كان ينتظره منها، وكأنها تمنَّعت عليه لأنه فنان لا علاقة له بالأضواء وبصناعة صورة المبدع. لكن غنائية الفنان وعشقه للشعر جعله يبني لنفسه عوالم علاقية حاور من خلالها شلّة مميّزة ولامعة من الشعراء. لقد كانت غنائيته الشعرية تتبدّى في عوالمه الداخلية في اللوحة بحيث كان الانفتاح الحواري مع الشعر أشبه بالامتداد، أو مراودة للغة أخرى لا يتقنها الفنان إلا في لغة الأشكال والألوان. كان الحوار مع أدونيس مثمرا، لأن كثافة اللوحة كانت مرآة مُسائلة لكثافة القصيدة لديه. ثم كانت حواريته مع الشاعر الياباني الراحل غوتارو جينازومي، صديقه وملهمه، تجربة جعلت الزهور تتحوّل إلى علامات سماوية تائهة، تشكل إيقاعية متناغمة ومنتظمة قلما نجدها كذلك في أعمال الفنان. وكانت تجربته مع الروائي والشاعر ميشيل بوتور والشاعر الفرنسي برنار نويل، كما مع الشاعر المغربي محمد بنيس والشاعر البحريني قاسم حداد، والشاعر العراقي سعدي يوسف، بحيث صار هيمت يبدو

كما لو أنه خلق مجرَّته الحوارية الشعرية التشكيلية في البرزخ الفاصل والواصل بين الملفوظ والمكتوب والمرسوم.
في الشعر يجد التشكيل صوتا مضافا، خارج أي علاقة مرآوية. فهيمت يفسح مجال فضائه التشكيلي الحميم للشعر والخط اليدوي والكلمات والتعابير كي تنضاف إلى علاماته ورموزه. والحقيقة أن هذا الإيقاع المزدوج يحرر اللوحة من أحاديتها ويمنحها هبةً للآخر؛ وكأن الفنان بذلك لا يرغب في الاكتفاء بذاته، أو كأن اللوحة لا توجد إلا بذلك النقص الأبدي الذي يعتريها، والذي يجعلها بالضرورة انفتاحا وإمكانا. اللوحة في هذه العملية تترجم علاقة هيمت بالعالم من حيث هي علاقة انفتاح وانغلاق، جاذبية ومندفعة وانطواء صامت... إنها تشبه السفينة التي تشرع للريح أشرعتها كي تمخر عباب مجهول المعنى. هذا المعنى يغدو هجينا، تتكلم فيه القصيدة بلسان التشكيل ويتكلم التشكيل بلسان لم يكن له من قبل...
بهذا المعنى ليس ثمة من توازٍ بين القصيدة والتشكيل، ولا من تصوير تشكيلي للتعبير الشعري. اللوحة تنبني كتأويل وإضافة للقصيدة والعكس بالعكس.

"ملتقى الشعر الملحون": استعادة العربي النجّار

تونس ـ العربي الجديد

06 فبراير 2022

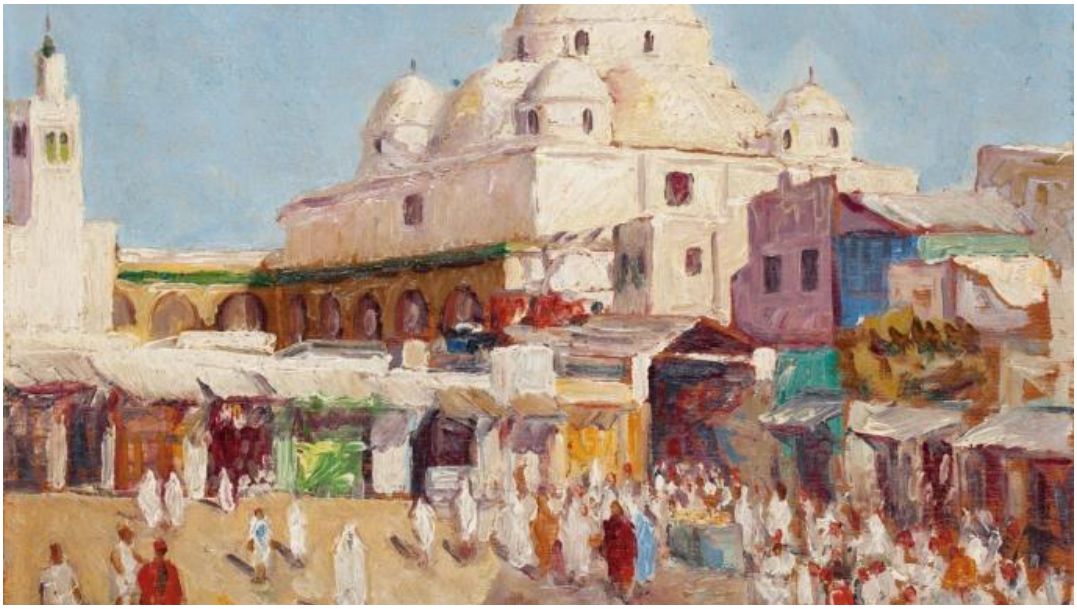

الأكثر مشاهدة

1 حلف شمال الأطلسي يرفض طلب أوكرانيا: لا حظر طيران ولا قوات للقتال

2 مولودية الجزائر يلجأ إلى "فيفا" بسبب لاعبه الجديد.. إليكم القصة

يحيى التركي/ تونس (جزء من لوحة)

الخط

تتعدّد التظاهُرات الثقافية المخصّصة للشعر الشعبي في تونس، وتتوزّع بين مناطق مختلفة من البلاد. ومن ذلك: "المهرجان الدولي للأغنية البدوية والشعر الشعبي" في المزونة بسيدي بوزيد، والذي أُقيمت دورتُه الخامسة والعشرون نهاية كانون الأوّل/ ديسمبر من العام الماضي، و"مهرجان دوز الدولي للشعر الشعبي" الذي تُقام دورته السابعة في أيار/ مايو المقبل.

أحدث التظاهُرات في هذا المجال هي "الملتقى العربي للشعر الملحون" في ولاية بنزرت، والذي تنظّمه "الجمعية الثقافية المتوسطية فيتاتوب"؛ حيث تُقام فعاليات دورته الأُولى في مدينة منزل عبد الرحمان يومَي التاسع والعاشر من شباط/ فبراير الجاري، بمشاركة عددٍ من شعراء الملحون التونسيّين.

نذكر من الشعراء المشاركين في الدورة التأسيسية: عز الدين الشابي، والحبيب المحنوش، وستار الدليمي، والبشير عبد العظيم، وحاتم القيزاني، والمبروك عبد المولى، ومحمد حمدي، ونجيب عبد الرحمان، وآمنة بالحاج علي، وأحمد قنديل، وصبيحة الوشتاتي، وحسن المحنوش، وهندة الطرابلسي، والجليدي العويني، ومحمد بوكراع، وجميلة الغضباني، والحبيب البشراوي.

وقال خالد الشريف، رئيس "الجمعية الثقافية المتوسطية فيتاتوب"، إنّ التظاهرة تطمح لأن تكون بمثابة "نافذة إضافية على المبدعين والمثقّفين على الشعر بأنواعه ومدارسه المختلفة، ولا سيما منه الشعر الملحون، أو شعر اللهجة، لإعطائه المكانةَ التي يستحقها ضمن منظومة الفعل الثقافي والفنّي".

ويتوزّع برنامج الملتقى بين القراءات الشعرية والمداخلات التي تتناول قضايا الشعر الملحون، إلى جانب فقرة استعادية للعربي النجّار (1839 - 1916)؛ وهو شاعرٌ شعبي تونسي عُرف بقصائده التي تنوّعت بين الغزل والهجاء والرثاء والتصوُّف؛ من بينها قصيدته "العين تنحب من فراق غزالي" التي يقول دارسون إنّه نظمها حزناً على رحيل زوجته، وقد اشتهرت بصوت المطربة التونسية صليحة (1914 - 1958).

3 إيران لكبير منسقي مفاوضات فيينا: الاتفاق رهين مراعاة خطوطنا الحمراء

4 استياء من تشويه "قصر النجمي" العباسي جنوب العراق

5 إصابات بقمع الاحتلال المسيرات ضد الاستيطان في الضفة الغربية

6 مجلس الأمن يعقد اجتماعاً طارئاً بعد هجوم روسي على محطة زابوريجيا

المزيد في ثقافة

من دافنشي إلى مودلياني.. لوحات رقمية

هاشم نعمة فياض.. الهجرة من منظور تنمويّ

آداب وفنون

ذكرى ميلاد: حسن نصر.. عن تونس التي بصدد الاندثار

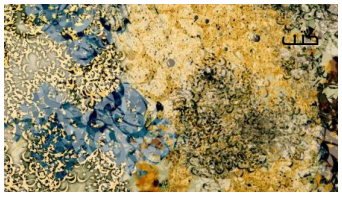

"تطوّر المنطق العربي": مساهمات من جغرافيا واسعة

دلالات

التراث الشعبي الشعر تونس